رأي القدس

الحفريات ستستمر فلا احد يوقفها

■ جاءت ردود الفعل العربية والاسلامية تجاه الحفريات التي باشرتها السلطات الاسرائيلية بالقرب من حائط البراق في المسجد الاقصى مشجعة لمواصلة هذه الحفريات لا وقفها بسبب ما اتسمت به من لامبالاة وروتينية.

فالحكومة المصرية اكتفت بالادانة، اما نظيرتها الاردنية فعبرت عن قلقها، بينما انشغلت القيادة السعودية باستقبال الوفود التي تمثل حركتي «حماس» و«فتح» استعدادا للقاء المصالحة في مكة المكرمة.

الاسرائيليون يعلمون جيدا مدى ضعف الحكومات العربية، واختاروا التوقيت الانسب لاستئناف هذه الحفريات، ولكن بجدية اكبر، على امل العثور على هيكل سليمان المزعوم مدفونا تحت المسجد الاقصى.

شيخ الازهر، الذي يعتبر المرجع السني الاهم في العالم الاسلامي، أفتى بان حماية المسجد الاقصى هي من مسؤولية الفلسطينيين، وليس الجيوش العربية والاسلامية، واعفى نفسه وحكومته من اي لوم في هذا الاطار.

المرجعيات الاسلامية السنية تتباكى على احوال الطائفة السنية في العراق، حتى ان المملكة العربية السعودية هددت بتسليح ميليشيات سنية ودعمها ماليا وعسكريا للدفاع عن هذه الطائفة، ولكنها غير مستعدة لفعل اي شيء لحماية المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

الفلسطينيون لا يحتاجون الى فتوى شيخ الازهر او غيره، للقيام بواجبهم تجاه حماية مقدساتهم، فقد هبوا منذ الصباح الباكر من مختلف المدن والقرى الواقعة تحت الاحتلال للتصدي للجرافات الاسرائيلية التي باشرت حفرياتها تحت حماية الجنود الاسرائيليين. ولكن هؤلاء لا يملكون الاسلحة والدبابات والصواريخ، وكل ما يملكونه هو الايمان الصادق والاستعداد للتضحية بارواحهم في سبيل مقدساتهم.

كنا نتمنى ومعنا مئات الملايين من العرب والمسلمين، لو ان الدول العربية، وخاصة المغرب ومصر والاردن، التي تقيم علاقات دبلوماسية كاملة مع الدولة العبرية، بادرت بسحب سفرائها واغلاق سفاراتها، اذا لم تتوقف الحفريات الاسرائيلية فورا، ثم التنادي الى اجتماع قمة لبحث خطوات اخرى، فهذا هو اضعف الايمان.

الدول الكبرى الثلاث هذه لن تسحب سفراءها ولن تفعل اي شيء غير الادانة والشجب والتعبير عن القلق، ولهذا ستكمل اسرائيل حفرياتها وتهدم حائط البراق، وربما المسجد الاقصى كله، وهي في قمة الاطمئنان.

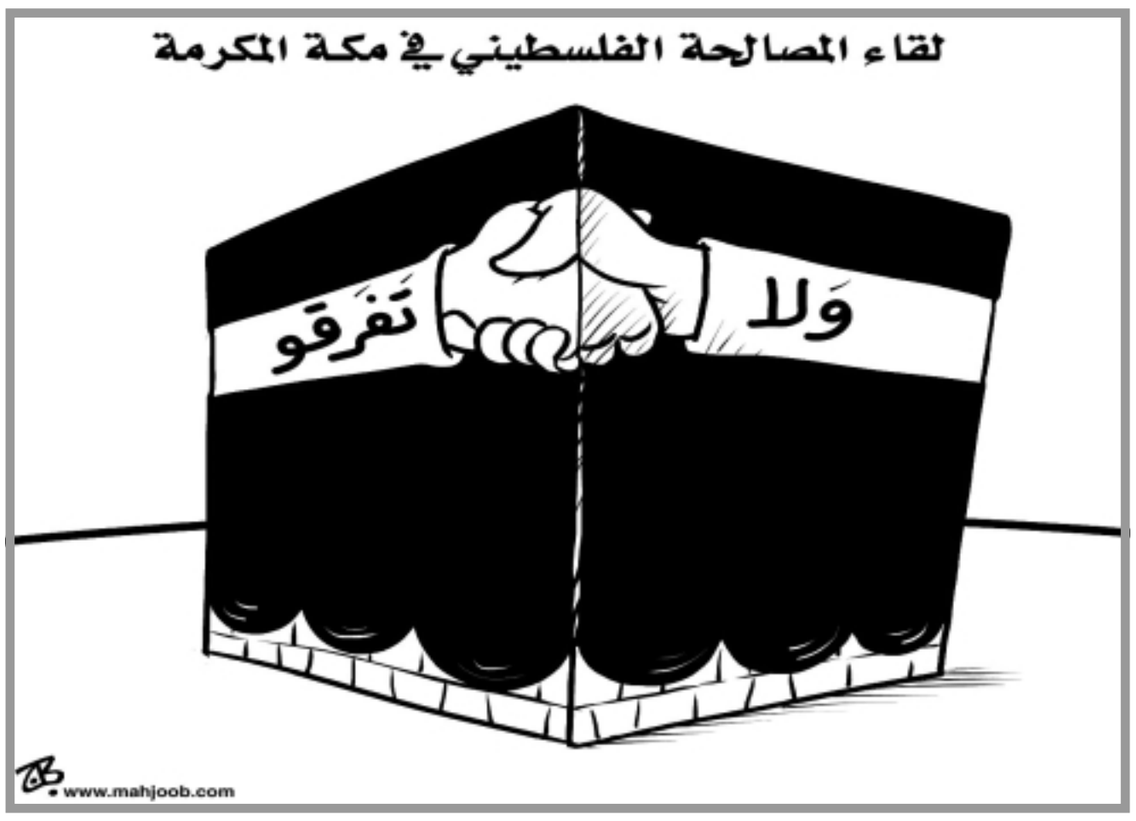

دولتان لتنظيمين

فريح ابو مدين *

■ هذا العنوان لو قيل قبل عام لكان ضربا من ضروب العبث ولكن ما يجري في وطننا يجعل هذا العنوان التهكمي قولا جارحا لفلسطين وشعبها امام العالم المؤازر لقضيته العادلة. ان ترك اسرائيل لقطاع غزة وتغيير الخريطة السياسية قلب المعادلة واصبح لهذا الشعب فجأة وعلى غير انتظار رؤوس متعددة المشارب والاهواء والاهداف.

فالتراجيديا او الكوميديا السوداء التي نعايشها: رئيس لا يرأس وحكومة لا تحكم وحلها يا حلال بطريقة رغيف الخبز «صحيح لا تكسر ومكسور لا تأكل وكل حتى تشبع» وهنا قفزت عبقرية الميليشيات ووجدت حلا بالتناحر والقتل وخطف الأسرى واصبح لكل منهم سجن خاص (بدون صليب احمر) وبالتالي وجدت جهات للتدخل وكان ما بينهم هو ما بين باكستان وافغانستان وكان التعبير القوي للاخ عزمي بشارة اننا نتقاتل على ادارة السجن القاطنين فيه، والمؤسف بل والمخزي ان من ترونهم على شاشات التلفزة وتسمعونهم على الاثير وهم بالقابهم وفي مناصبهم لا قدرة لهم على ايقاف اي من وعودهم او التزام بتوقيعاتهم حول وأد الفتنة او حكومة الوحدة او حوار الاخوة وذلك لقصور في ذواتهم وانعدام ملكة القيادة وصرامة ممارستها لديهم ولا استثني احدا منهم مع الاعتذار للشاعر مظفر النواب.

والتشخيص بسيط بعضهم اتى بنضال زائف وديمقراطية نمارسها بوصفة من عطار امريكي في عصر لا يمت لزمننا العربي بصلة.

لقد حذر البعض السيد الرئيس محمود عباس من ديمقراطية السكر زيادة الا انه صمم على الانتخابات بعد عودته من الولايات المتحدة وهي نقطة تحسب له في وقتها لاعتقاده بان القادم احسن حالاً. الا ان ما تلى ذلك صنع شرخاً رأسياً وافقياً في البنية الاجتماعية والسياسية للشعب الفلسطيني وبدأت عملية الاستقطاب والاستقواء والاقصاء بين الاطراف خاصة فتح وحماس وبدأت العناصر الخارجية تضع الاجندة لمن هم في الكراسي العنكبوتية حتى وصل الحال كما تسمعون وترون.

لقد اصبح حال الاغلبية الصامتة لا يوصف تلك الاغلبية التي ترى ان الاحتلال كان موحداً لها بعكس التمزق والتشظي تحت حكم القاب ملكة في غير موضعها (نماذج اندلسية) الا اذا كان هدف المتقاتلين دولة لكل تنظيم علما بان القطاع الذي تدور به حرب الممالك لا يمثل اكثر من 1,3% من اراضي فلسطين التاريخية ويجري به ما يجري، كل هذا السرد والتوصيف يوجب علينا ان نقول كلمتنا وباخلاص للسيد الرئيس لعل ذلك يكون خروجا من التخبط والعجز ووقفا لتشويه صورتنا ونضالنا، وحقنا لدمائنا ننصح باقالة الحكومة واستقالة سيادتكم ودع الامور تجري في اعنتها لعل وعسى يستفيق السادرون من غيهم. وسيبقى شعب فلسطين حيا مستمرا متحديا اكبر من قادته وفصائله. وللحديث بقيه.

* وزير العدل الفلسطيني السابق

معنى النكبة... العراقية

د. عصام نعمان *

■ كان العرب، وما زالوا، يعانون من نكبة فلسطين وآثارها. اليوم يعانون من نكبة العراق ونكبة لبنان ونكبة السودان ونكبة الصومال. هل يتحول كل قطر عربي في قابل الأيام مشروع نكبة؟

قد لا يكون هذا الإحتمال بعيداً أو مستبعداً في ظل العقلية العربية السائدة، والطبقات السياسية العربية المتحكمة، والهجمة الأمريكية الصهيونية الشاملة. اجل نحن امة سائبة برسم النكبة والضياع.

من مظاهر النكبة المتعاظمة مجاميع المهجّرين والمهاجرين واللاجئين العراقيين التائهين في أربع جهات الأرض، ولاسيما النازحين إلى دول الجوار وفي مقدمها سورية والأردن. ففي الأولى نحو 1,300,000 شخص وفي الثانية نحو نصف مليون. هؤلاء جميعا لم يكتسب واحدهم بعد صفة «اللاجئ» بمعايير القانون الدولي وأنظمة المفوضية السامية للأمم المتحدة، ولا يستفيدون تاليا من أية تسهيلات قانونية ومعيشية واجتماعية تنشأ عنها. إنهم مجاميع من أفراد وعوائل وجماعات سائبة» مسؤولة» عن نفسها أو متروكة لقدرها.

معظم الأغنياء من النازحين العراقيين قصدوا عمان وضواحي العاصمة الأردنية. وقد فرضت عليهم الحكومة ان يودع واحدهم المصارف الأردنية مئة ألف دينار كضمانة ليتدبر إقامته. أما الفقراء من شتى الملل والنحل فقد قصدوا سورية، ولاسيما البلدات والقرى المحيطة بدمشق.

للنكبة، أي نكبة، آثار سياسية واجتماعية. فنكبة فلسطين العام 1948 فاضت بآلامها ومآسيها ومضاعفاتها السياسية والاجتماعية إلى دول جوارها العربي وانعكست بآثارها جميعا على نسجيها الاجتماعي وتركيبتها السياسية وبنيتها الإقتصادية. أوليست هي الجذر الأساس لإنبعاث الحركة القومية وفي مقدمها ثورة يوليو/ تموز الناصرية في مصر، والإنقلابات العسكرية «الناجح» منها والفاشل في سورية والعراق والأردن ولبنان؟

إن مفاعيل مشابهة لنكبة فلسطين وإنعكاساتها الانقلابية على دول الجوار تبدو الآن آخذة في التبلور والتأثير في الدول نفسها. ومع ذلك فليس ثمة ما يشير، على العموم، الى ان العقل السياسي العربي والطبقات السياسية المتحكمة والقوى الوطنية الحية قد استوعبت أبعاد النكبة بل النكبات الجديدة وبدأت في مواجهتها. أليس اضعف الإيمان ان تطالب الحكومات المعنية المفوضية السامية للأمم المتحدة، والصليب الأحمر الدولي، وسائر المنظمات الإنسانية بأن تتحمل مسؤوليتها في هذا المجال؟ لقد بلغني ان إتحاد المحامين العرب شرع في تنظيم حلقة نقاشية حول الموضوع لتنعقد في القاهرة أواخر الشهر الجاري، فعسى خيراً.

مع نشوء مضايقات ومشاكل سياسية واجتماعية للاجئين الضيوف والسلطات المعنية في دول الجوار المضيفة، طالعنا موقف سياسي لافت للرئيس السوري بشار الأسد. ففي مقابلة مع شبكة «أي بي سي» الأمريكية للتلفزيون بثتها أمس الأول، رأى الأسد ان إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش لا تملك رؤية لإحلال السلام في العراق، بل «أن الوقت قد فات على قيامها بأي تحرك في هذا الإتجاه». كما شدد على انه من دون جهود دمشق «فإن الفوضى في العراق ستمتد إلى سورية وغيرها من الدول»، وانه بصرف النظر عما سيحدث جراءها فإن «الهم انها مثل الدومينو وستشمل الشرق الأوسط بكامله، وهذا يعني ان العالم بكامله سيتأثر بها».

من الطبيعي والمنطقي ان يعتبر الرئيس السوري بلاده لاعبا أساسيا في مسألة وقف الحرب «الداخلية» في العراق. فسورية بحكم الجوار الجغرافي والإنتماء القومي والأخطار العسكرية والأمنية القائمة والتهديدات الأمريكية المتواصلة والضغوط والأكلاف الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن هجرة العراقيين الكثيفة اليها، مضطرة الى التحرك لمواجهة هذا التحدي السياسي والأمني والاجتماعي والاستراتيجي الخطير، لكن سؤالا منطقيا ينهض في هذا المجال: أي دور ترشح سورية نفسها له، ومن خلال اية رؤية وفي أي سياق؟

بات واضحاً ان ادارة بوش تتخبط في مستنقع فوضى غير خلاّقة كانت هي في أساس خلقها وتعميمها في معظم مناطق العراق. غير انها تبدو مصممة اليوم على مباشرة خطة جديدة للخروج من حمأة الوضع الأمني المنهار، يُخشى أن تكون جزءاً من مخطط استراتيجي أبعد مدى ويرمي إلى ترسيخ وضع تقسيمي باتت ملامحه واضحة. فهي وإن كانت تتحدث عن عزمها ضرب الجماعات المتطرفة الشيعية والسنية، إلا ان ذلك، حتى في حال إنجازه، لا يحول غداته دون اكتشاف حقيقة ساطعة هي سيطرة جماعات وتنظيمات اقل تطرفاً ومن ألوان أثنية ومذهبية طاغية في مختلف المناطق العراقية اي بعبارة أخرى، قد يغدو العراق بعد تنفيذ خطة بوش الجديدة اقل فوضى وأكثر أمناً، إلا انه سيبقى مرشحا للانفجار مجدداً وعودة القتال والاقتتال معا... القتال ضد الأمريكيين وحلفائهم والاقتتال بين الجماعات العراقية الاثنية والمذهبية المتناحرة.

يزيد من ارجحية هذا الاحتمال ان ثمة تبرماً عراقياً متزايداً في الأوساط السنيّة كما الشيعية من دور إيران الملتبس في العراق. فهي تناصر حكومة نوري المالكي المتعاونة مع الإحتلال من جهة وتدعم الجماعات الشيعية المسلحة التي تتقاتل مع الجماعات السنيّة والقومية التي تقاتل الاحتلال من جهة أخرى. وقد تبدّى هذا الواقع المؤلم في منطقة الفرات الأوسط، وهي منطلق ثورة العشرين ومستودع التمرد الدائم التفجّر ضد الحكومات المتسلطة والمتعاقبة منذ ثلاثينات القرن الماضي. إنه واقع إشكالي لا يمكن التوفيق بينه وبين تصدي إيران، على مستوى المنطقة، للهجمة الأمريكية الصهيونية الكاسرة.

في وضع شديد التعقيد على النحو المار ذكره، لن تتمكن سورية من لعب دور فاعل. فهي حليفة لإيران في مواجهتها الناشطة للهجمة الأمريكية الصهيونية من جهة، لكنها ملتزمة تأييد القوى القومية داخل العراق وفي المنطقة التي تقاتل أمريكا وإسرائيل من جهة أخرى. ما العمل؟

إن القوى الحية في الأمة، وفي مقدمها منظمات المقاومة في العراق وفلسطين ولبنان، كما سورية حكومةً وقوى وطنية وقومية، مطالبةٌ بمباشرة حملة سياسية وشعبية واسعة للضغط على قادة الأنظمة العربية وحكوماتها في سياق الدعوة الى تغيير فاعل في موقفها من استراتيجيا إدارة بوش في المنطقة عموما وحيال العراق وإيران خصوصا... تغيير من شأنه تحقيق ثلاثة أهداف استراتيجية مترابطة ومتكاملة:

اولا، إعتبار مواجهة إسرائيل ومن ورائها أمريكا في فلسطين، ومواجهة أمريكا وحليفاتها في العراق، اولويتين مطلقتين في هذه المرحلة، تتم في نطاق مقتضياتها السياسية والاقتصادية والأمنية والدفاعية اتخاذ القرارات اللازمة وتنفيذها في جميع المجالات.

ثانيا، مصارحة إيران بأن صدق مواجهتها للهجمة الأمريكية الصهيونية عليها وعلى الإسلام والمسلمين مرهون بمدى استعدادها لقطع التعاون مع حكومة المالكي وجميع القوى العراقية المتعاونة مع الاحتلال الأمريكي في العراق، وانتقالها تاليا، بكل الصدقية والجدية اللازمتين، للتنسيق والتعاون مع القوى الوطنية والقومية المنبثقة من شتى شرائح الشعب العراقي وقواه الحية والإقرار بعروبته وإنتمائه القومي. كما يقتضي ان تتعهد الدول العربية جميعا، ولاسيما مصر والسعودية وسورية، لإيران بأن وفاءها بالشروط السياسية والأمنية والاستراتيجية المبينة آنفا يُلزم هذه الدول بوقوفها معها علنا، سياسيا وإعلاميا وحتى لوجستيا (وربما عسكريا ممن يمكنه ذلك) ضد الهجمة الأمريكية الصهيونية التي تستهدفها في الوقت الحاضر والمستقبل المنظور.

ثالثا، إحياء معاهدة الدفاع المشترك ومباشرة تنفيذ أحكامها وموجباتها بإنشاء كيان اقتصادي – دفاعي يضم، في مرحلته الأولى، دول الطوق (مصر وسورية والأردن ولبنان) والسعودية بقصد الاستغناء عن الأمن الأجنبي المستعار والامتلاك التدريجي لمقاومات الأمن القومي الجماعي وأدواته وسط الاستقطاب الإقليمي المتعاظم بين إيران من جهة وإسرائيل المدعومة من أمريكا والأطلسي من جهة اخرى.

هل كثير على قادة الأنظمة، المهددة في أمنها ووحدتها وسيادتها وأرضها وثرواتها وشعبها ومصيرها، ان ينهضوا لمباشرة تحقيق الأهداف الثلاثة المنوه بها قبل فوات الأوان؟ وهل كثير عليهم ان يغتنموا مناسبة القمة المرتقبة في مكة المكرمة ليستولدوا، بكل الوعي والجدية والصدق، إرادة التغيّر الإستراتيجي المطلوب لمصلحة العمل العربي المشترك والجاد؟

بهذا التغيّر النهضوي الفاعل نتجاوز نكبة العراق وبقية النكبات العربية المتناسلة.

القمة المرتقبة في مكة المكرمة ليستولدوا، بكل الوعي والجدية والصدق، إرادة التغيّر الإستراتيجي المطلوب لمصلحة العمل العربي المشترك والجاد؟

بهذا التغيّر النهضوي الفاعل نتجاوز نكبة العراق وبقية النكبات العربية المتناسلة.

* كاتب وسياسي من لبنان

خيارات صعبة امام ايران المستهدفة من امريكا

د. سعيد الشهابي *

■ بعد 28 عاما على ثورتها، ما تزال ايران تتصدر الشأن الدولي، وتبعث سياساتها جدلا متواصلا لا يتوقف خصوصا في الدوائر الغربية. فإن كان الحديث حول امن الشرق الاوسط تبدو ايران عاملا اساسيا في هذا النقاش، وإن كان حول العراق واوضاعه الحالية، فالدور الايراني لا يمكن تغييبه، وكذلك الشأن اللبناني والقضية الفلسطينية، والاوضاع الافغانية وشؤون أمن الخليج، وقضايا النفط والغاز، وشؤون دول بحر قزوين. موقع ايران محوري في هذه القضايا وغيرها، لأسباب عديدة. فهي دولة اقليمية كبرى، تمتلك من النفوذ السياسي والاقتصادي الشيء الكثير، ويزيد من اهمية موقعها هويتها الايديولوجية ومحوريتها في المشروع السياسي الاسلامي الذي اصبحت اهيمته تتجاوز الحدود الجغرافية. كما ان القيادة الايرانية تتميز بالديناميكية والمهارة في المناورات، بالاضافة الى تمسكها بعدد من الثوابت في سياساتها الخارجية. من هنا لم يغب الشأن الايراني عن الجدل الاقليمي والدولي على مدى العقود الثلاثة، اي منذ اندلاع اولى شرارات الثورة في ربيع 1977. يومها كان هناك عالم دين يعيش في زاوية من زوايا مدينة النجف العراقية، منذ ان أبعده الشاه محمد رضا بهلوي عن ايران في اثر انتفاضة 1963. تلك الانتفاضة كانت احتجاجا من الامام روح الله الموسوي الخميني ضد ما كان يسمى «قانون الحصانة» الذي اقره البرلمان الايراني والذي يمنح الامريكيين المتواجدين في ايران الحصانة من القضاء الايراني. اعتبر الامام الخميني ان اقرار ذلك القانون تنازل عن السيادة، وحدثت الانتفاضة التي سقط فيها آلاف الشهداء. وبعد بضعة شهور قضاها الامام الخميني في تركيا بعد ابعاده قرر الاستقرار في مدينة النجف. في مطلع 1977 كتب وزير الاعلام في نظام الشاه، داريوش همايون، مقالا في جريدة «اطلاعات» هاجم فيه الامام الخميني، الامر الذي اثار حفيظة طلبة الحوزة العلمية وعدد من الناشطين، فحدثت تظاهرات في عدد من المدن، سقط فيها العديد من القتلى، وتواصلت وتيرتها تصاعديا وفشل الشاه في اخمادها. في تلك الظروف طلبت الحكومة العراقية من الامام الخميني مغادرة اراضيها، فحاول الانتقال الى الكويت ولكنها رفضت طلبه، فانتقل في ايلول/ سبتمبر 1978 الى فرنسا وقام بتوجيه الثورة وحث المواطنين على مواصلة المطالبة باسقاط نظام الشاه. وفي 16 كانون الثاني (يناير) 1979 غادر الشاه ايران الى الولايات المتحدة، وعين شاهبور بختيار رئيسا للوزراء، ولكن عودة الامام في الاول من شباط/ فبراير وتعيينه مهدي بازركان رئيسا للوزراء أجبر بختيار على الفرار فسقط النظام وقامت الجمهورية الاسلامية. كان ذلك الحدث من اهم مفاصل التطورات السياسية في الشرق الاوسط. فهي المرة الاولى في التاريخ المعاصر التي يقوم فيها نظام سياسي اسلامي على انقاض حكم مدعوم بكل قوة من قبل الولايات المتحدة الامريكية. كان ذلك زلزالا سياسيا كبيرا ادى الى تغير في العلاقات والتحالفات الاقليمية بصورة كبيرة اوصلت الاوضاع الى ما هي عليه الآن. وكان من اول التغيرات على السياسة الخارجية الايرانية قطع العلاقات بين ايران و«اسرائيل» وهي العلاقات التي اقامها الشاه مع نظام الاحتلال برعاية أمريكية. واتضحت منذ تلك اللحظة معالم النظام الجديد على صعيد العلاقات الخارجية، خصوصا مع رفع شعار الاستقلال وعدم الانحياز للشرق او الغرب، وتحقيق استقلال القرار. المنطلق الايديولوجي للثورة كان متميزا، وتزامن مع بدايات ظاهرة الصحوة الاسلامية المعاصرة، الامر الذي دفع بما يسمى الاسلام السياسي الى الواجهة. وقد فوجيء الغرب بالثورة ولم يحسب حسابها، ولم يدرك ابعادها الفكرية والثقافية والايديولوجية وانعكاساتها على التوازن الدولي.

بعد ثلاثة عقود على ذلك الحدث العملاق، ما يزال المسرح السياسي يتفاعل مع الشأن الايراني بحماس كبير، وما يزال هذا الشأن متعبا للأطراف الاخرى، خصوصا الولايات المتحدة الامريكية. فبعد الجدل المتواصل حول «تصدير الثورة» و«دعم الارهاب» و«الخطر الاصولي» هناك الآن قضايا اساسية مرتبطة بالشأن الايراني تتصدرها ثلاث هي: المشروع النووي والفتنة الطائفية والعلاقات مع «اسرائيل». وبرغم مرور اكثر من اربعة اعوام على اثارة الزوبعة حول المشروع النووي الايراني لا تبدو القضية اقرب الى الحل عما كانت عليه. فالموقف الايراني يبدو متماسكا بين الفرقاء السياسيين داخل المؤسسة الايرانية، وان كانت هناك لغات مختلفة يستعملها كل فريق للتعبير عن موقفه. اما الامريكيون فلم يستطيعوا تحقيق اجماع دولي لاتخاذ اجراء محدد ضد ايران لاجبارها على التخلي عن ذلك المشروع. وهناك شرخ واضح بين ضفتي الاطلسي ازاء سبل احتواء الازمة. وساهمت الخطوات التي اتخذتها واشنطن الشهر الماضي بارسال حاملات طائرات الى منطقة الخليج في تعميق الشكوك ازاء النوايا الامريكية، واعرب الاوروبيون بشكل واضح عن عدم موافقتهم على الخطوات الامريكية التصعيدية، معتبرين ان من الضروري حل المشكلة بالاساليب السلمية وعبر الحوار والتفاوض.

وجاءت تصريحات الرئيس الفرنسي الاسبوع الماضي التي قال فيها ان امتلاك ايران قنبلتين نوويتين او ثلاثا لا يشكل اختراقا للتوازن العسكري في المنطقة او تهديدا لامن الغرب، لتزيد من حدة الازمة الصامتة بين امريكا واوروبا حول سبل احتواء المشكلة. كما ان تصريحات المسؤولين الروس عن عزمهم الاستمرار في التعاون النووي مع ايران حتى اكمال محطة بوشهر النووية أضعف من مصداقية القول بوجود تحالف دولي متماسك ضد المشروع الايراني. وحتى حلفاء واشنطن واصدقاؤها في المنطقة لم يعودوا قادرين على مسايرة الموقف الامريكي الذي يتحرك خارج الاجماع الدولي. فباكستان ما تزال موضع شكوك الولايات المتحدة التي تعتبر رائد مشروعها النووي عبد القدير خان، المسؤول الاول عن نقل التكنولوجيا النووية الى كل من كوريا الشمالية وليبيا وايران. المسؤولون الباكستانيون، من جانبهم، لم يخفوا اختلافهم مع الموقف الامريكي ازاء ايران، وقال عدد منهم، من بينهم رئيس الوزراء، شوكت عزيز، والسفير الباكستاني في واشنطن، محمود دراني، بان ايران متعاونة بشكل جيد في الشأن الافغاني، وان بالامكان الاستفادة من هذا الدور في محاصرة ازمة العراق المتفاقمة. وفي المقابل، يبدو ان ايران حققت اختراقا مهما في العلاقات العامة، وذلك بالترويج لموقف عربي ـ اسلامي يستهدف السلاح النووي الاسرائيلي، ويطالب العالم بالضغط على الكيان الصهيوني لتوقيع معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية. وفيما يطرح الكثيرون ضرورة ابقاء الشرق الاوسط منطقة خالية من السلاح النووي، بادر المسؤولون المصريون لتكرار انزعاجهم ازاء الصمت الامريكي والدولي من السلاح النووي الاسرائيلي. وهكذا اصبحت واشنطن متهمة من جديد بازدواجية المعايير والمواقف السياسية، ومطالبة بالضغط على الكيان الاسرائيلي للتخلي عن ذلك السلاح. وهناك ما يشبه الاجماع على ان اي عمل عسكري يستهدف ايران ستكون عواقبه وخيمة على المنطقة، وسوف تكون له انعكاسات سلبية على الامن والاستقرار الاقليميين والدوليين، وانه سوف يؤدي الى مسلسل من الفعل وردود الفعل التي لا تخدم مصالح دول المنطقة وشعوبها.

وعلى صعيد آخر، يبدو الدور الايراني محوريا في هذه الفترة لاحتواء ظاهرة الاحتقان الطائفي الذي اصبح مصدر قلق واسع لدى ابناء المنطقة. هذا الاحتقان تغذيه عوامل عديدة من بينها الجهل والتعصب والتشويش الاعلامي والتخطيط المغرض من قبل جهات ترى مصلحتها في تفرق المسلمين. العراق اليوم هو المسرح الاساس لهذا الاحتقان، وان كانت ساحات اخرى مثل باكستان ولبنان والبحرين مهيأة للاحتراب الطائفي غير المقبول وغير المبرر. تتوجه الانظار الى ايران للقيام بدور ايجابي في احتواء هذه الظاهرة، وذلك من خلال علاقاتها مع الدول القادرة على التعاون، اذا ارادت، في هذا المجال خصوصا السعودية ومصر. وقد استقبلت تصريحات الدكتور محمد سليم العوا، الامين العام لاتحاد علماء المسلمين، بالتوصل الى اتفاقات عملية مع ايران لاحتواء الاحتقان، بارتياح واسع، على أمل ان تسعى الاطراف المعنية لاتخاذ خطوات عملية لمنع التراشق بين المسلمين من منطلقات مذهبية. هذا الاحتقان لا ينفصل من حيث الاسباب والجهات التي تروج له، عما يجري من اقتتال في الوسط الفلسطيني، لأسباب ترتبط اساسا بالموقف ازاء الاحتلال الاسرائيلي. هذا الاقتتال اصبح مقلقا جدا، ومؤشرا على وجود الاستعدادات النفسية والايديولوجية لتحويل الاختلافات في المواقف السياسية والانتماءات المذهبية الى قضايا مصيرية لا تستبطن سوى خيار الموت. لقد اصبح هناك تداخل في الاولويات السياسية والانتماءات الفكرية، والتحالفات بشكل يدفع الى القلق. وما يجري في لبنان مثلا، لا ينفصل عما يجري في بقية المناطق، وان كان بالامكان البحث عن عوامل واسباب خاصة لكل حالة، تبدو منفصلة عن الحالات الاخرى، وتؤدي الى الاقتناع بانها منطلقة محليا بدون تحريض خارجي. والواضح ايضا ان هناك غيابا ملحوظا للرجال القادرين على التحرك الواسع لاحتواء الظواهر السلبية خصوصا التي تؤدي الى سفك الدماء والقتل على الهوية. وتبدو ايران، مرة أخرى، لاعبا ضروريا في هذه الازمة، خصوصا لعلاقاتها مع اطراف الحكم في عدد من الدول خصوصا العراق ولبنان.

اما العنوان الثالث للوضع الايراني فهو العلاقات الخارجية مع الدول التي اتسمت علاقاتها معها اما بالقطيعة او التوتر. فمثلا هناك الآن ضغوط على امريكا للتخلي عن لغة التهديد، والعودة الى لغة أكثر تأثيرا، كتقديم حوافز اقتصادية للايرانيين، والتعاون في المجال النووي وفق ما تمليه معاهدة ان بي تي، والتخلي عن مشروع «حرية ايران» الذي تموله واشنطن ويهدف لتغيير النظام في طهران. الايرانيون يدركون انهم أقدر على التأثير في المناطق الساخنة التي تورطت فيها امريكا مثل افغانستان والعراق، وانها لا تخلو من تأثير على مواقف الفرقاء في لبنان، والمقاومة الاسلامية في فلسطين، وان بامكانها الحاق الضرر بالمصالح الامريكية في اكثر من مكان، اذا ما تعرضت مصالحها للتهديد او استهدفت بعمل عسكري من قبل الولايات المتحدة. وفي ظل تطورات الاوضاع في «اسرائيل» بعد فشل حربها ضد لبنان، ومحاصرة رئيس الوزراء البريطاني سواء في موضوع الحرب ضد العراق ام في مسألة منح الاوسمة للداعمين الماليين لحزب العمال، وعدم وجود رغبة لدى الكونغرس الامريكي في الدخول في حرب اخرى ضد ايران، كل ذلك يعني ان سياسات بوش أصبحت تفتقر للدعم السياسي والقانوني، خصوصا مع احتمال عدم تحقيق انتصار حقيقي في العراق. من جانبهم، فان الايرانيين ايضا مطالبون باعادة النظر في بعض الملفات التي استعملت لاستهدافهم وطرح خطاب سياسي قادر على استيعاب حقائق الواقع في المنطقة وفي الدول الغربية.

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

سلاح قوي ضد بوش

محمد كريشان

■ اختارت مجلة «نيوزويك» الامريكية غلافا هذا الاسبوع في نسختها العربية حادثة اسقاط مروحية «بلاك هوك» الاخيرة في محافظة ديالى الى الشمال الشرقي من بغداد ومصرع اثني عشر عسكريا كانوا على متنها، لتطرح بقوة التكلفة البشرية للتورط الامريكي هناك لا سيما وان هذه المروحية كانت التسعين التي تسقط في العراق منذ احتلاله وعلى متنها قتل اكبر عدد من افراد الحرس الوطني في مهمة قتالية منذ الحرب الكورية.

التحقيق كان مؤثرا لانه غاص انسانيا في احاديث خاصة مع عائلات القتلى الذين لم يكن اغلبهم لا مقتنعا ولا فخورا بوجود قوات بلاده هناك واكثر من ذلك نقلت هذه العائلات على لسان من فقدوا كلاما لاذعا من نوع ما قالته والدة على لسان ابنها من انه قال لها «اذا مت، فلن اعرف لماذا مت، هل من اجل النفط ام الثأر» فيما قال اخر منذ تسلم اوامر الذهاب الى العراق انه مقتنع بأنه لن يغادر منطقة الحرب حيا والاسوأ من ذلك انه يرى انه سيموت دون سبب وجيه. ولم تنس المجلة الامريكية وهي تتحدث عن عذابات الزوجات الارامل والنساء الثكلى في الولايات المتحدة ان تقول في ضوء قرار بوش ارسال المزيد من القوات الى «وكر الدبابير» كما وصفته ان تقول ان «السؤال الوحيد المهم حقا في زمن الحرب هو هل الامر يستحق ذلك؟».

هذا النوع من التحقيقات الانسانية عما يجري حقيقة من ويلات للامريكيين في العراق هو الكفيل بدرجة كبرى في المساعدة على اثناء بوش عن المضي اكثر في هروبه الى الامام وتصوره انه الوحيد المقدر للموقف الجيد فلا يريد لشعبه وللعالم ان يرى الا ما يراه، فالصحافة هناك وما تمثله من وزن كبير في صياغة الرأي العام الامريكي باتت اليوم، واكثر من اي وقت مضى، رهان السباق الاكثر حظا في التأثير خاصة بعد اعلان بوش عما سماه استراتيجية امريكية جديدة في بلاد الرافدين وقراره ارسال اكثر من عشرين الف جندي اضافي الى هناك، وهو ما حدا بمعظم وسائل الاعلام الامريكية ان تعيد صياغة مواقفها فازداد المعارضون قسوة وخرج المترددون عن محاولات البقاء على توازن صعب فيما بات المدافعون عن الادارة الحالية اكثر حرجا وارتباكا وهم يفقدون يوما بعد اخر كل حجة مقنعة. ولعل شبكات التلفزيون هي من باتت اليوم الاكثر نفاذا في هذا الخط الضاغط بقوة على بوش المعزول اكثر فاكثر والذي يواجه حالة تذمر متصاعدة داخل حزبه نفسه ففي برنامج «واجه الصحافة» الشهير على شبكة «ان. بي. اس» استضاف مقدم البرنامج تيم راسرت قبل اسبوعين تقريبا مستشار الامن القومي الامريكي ستيفن هادلي فعالجه بسؤال لا يرحم قال فيه: اذا كانت هذه الادارة مخطئة في امتلاك العراق اسلحة دمار شامل، واذا كانت مخطئة حول عدد القوات اللازمة لتحقيق النصر، واذا كانت مخطئة حول تقدير التكلفة البشرية والمالية للحرب، وحول اعادة اعمار العراق، وحول الحرية والديمقراطية هناك، وحول مستوى العنف الطائفي اذا كنت مخطئا حول كافة هذه النقاط، فلماذا تعتقد ان الامريكيين سوف يثقون بك مجددا ويؤيدون استراتيجية زيادة عدد القوات في العراق؟

ان الاعلام الامريكي الجريء والفاضح على هذه الطريقة هو اخر ما تبقى من اسلحة داخل الساحة الامريكية لجعل بوش يفهم اخيرا ما فهمه غيره قبله باشهر عديدة طبعا الى جانب ما يجري على الارض في العراق نفسه من ويلات تواجهه حكومة ضعيفة وغير ذات مصداقية بمزيد من الكلام والخطط الامنية المتناسخة دون جدوى، فالدرس الحقيقي والبليغ والحاسم يجري هناك بلا جدال.

كلمة اخيرة من الاعلام الفرنسي هذه المرة، فأفضل ما قيل في اعتقادي عن خطة بوش الجديدة في العراق قاله الباحث العربي المقيم في باريس سلام الكواكبي لمجلة «لوفيغارو ماغازين» الاسبوعية فقد سئل: هل تعتقد ان هذه الخطة سياسة حظيت بتفكير ودراسة كافيين؟ فاجاب بان الامر خاضع لاحتمالين اما انها كذلك فعلا وبالتالي فهي شيطانية واما انها ليست كذلك وفي هذه الحالة فهي كارثية، انها اشبه ما تكون بوضع فيل في محل لاواني الفخار ولكن عوض الاسراع باخراجه كي لا يحطم كل شيء لا تكتفي بالابقاء عليه بل نضيف الى المحل المزيد من الفخار!

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 723152
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

AL-QUDS Al - Arabi Volume 18 - Issue 5501 Wednesday 7 February